ولاية الله للمؤمنين
آثار وثمار

هيفاء عبدالله الرشيد

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن مُحَمَّداً عبده ورسوله.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [سورة آل عمران:١٠٢].

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾ [سورة النساء:١].

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ﴾ [سورة الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد:

من طبيعة الإنسان الضعف وحاجته للغير، ولا يوجد إنسان يستقل بنفسه ولا يحتاج إلى غيره؛ لأنه مخلوق، وكل مخلوق ضعيف مفتقر إلى غيره؛ ولذا كان لكل واحد من البشر أسرة وقرابة وأصدقاء وأعوان وأنصار، ويواليهم بحسب قربهم منه، وعونهم له.

وأعظم ولاية وعون ونصرة، وأكثرها نفعاً، وأقواها وأمتنها وأبقاها؛ ولاية الله تعالى للعبد؛ لأنها ولاية من الخالق المحيط بكل شيء علماً، القدير على كل شيء، الذي لا يخفى عليه شيء، ولا يعجزه شيء، فكانت ولايته للعبد أنفع للعبد من أي شيء، فتغني ولايته سبحانه عن كل ولاية، ولا يغني عن ولايته عز وجل ولاية، قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا ﴾ [النساء:٤٥]، وقال تعالى: ﴿ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ﴾ [الأنعام:١٤].

فالمسلم يؤمنُ بأنَّ للهِ تعالَى مِنْ عبادِهِ أولياء استخلصهم لعبادتِهِ، واستعملهم في طاعتِهِ، وشرَّفهمْ بمحبَّتِهِ، وأنالهم مِنْ كرامتِهِ، فهوَ وليهم يحبّهم ويقربهم، وهم أولياؤهُ يحبُّونهُ ويعظّمونهُ، يأتمرونَ بأمرِهِ، وبهِ يأمرونَ، وينتهونَ بنهيِهِ، وبهِ ينهونَ، يحبّونَ ما أحب، ويُبغضون ما أبغض، إذَا سألوهُ

أعطاهم، وإذَا استعانوهُ أعانهم، وإذَا استعاذُوا بهِ أعاذهم، وأنَّهم هم أهلُ الإيمانِ والتَّقوَى، والكرامةِ والبشرَى فِي الدنيَا وفِي الأخرَى، وأنَّ كلَّ مؤمنٍ تقي هوَ للهِ وليٌّ، غيرَ أنهُمْ يتفاوتونَ فِي درجاتهم بحسبِ تقواهَم وإيمانهم، فكل منْ كانَ حظهُ منَ الإيمانِ والتَّقوَى أوفَى، كانت درجتهُ عندَ اللهِ أعلَى، وكانت كرامتهُ أوفرَ، فساداتُ الأولياءُ همْ المرسلونَ والأنبياءِ، ومِنْ بعدِهم المؤمنونَ.

قال ابن تيمية رحمه الله: "**وإذا كان أولياء الله هم المؤمنين المتقين فبحسب إيمان العبد وتقواه تكون ولايته لله تعالى، فمن كان أكمل إيماناً وتقوى؛ كان أكمل ولاية لله، فالناس متفاضلون في ولاية الله عز وجل بحسب تفاضلهم في الإيمان والتقوى**"[1].

---

(١) مجموع الفتاوى (١١/١٧٥).

أولاً: ﴿ معنى ولاية الله للعبد ﴾

المُوالاةُ: ضد المعاداة، **والْوَلاَيةُ**: النُّصْرَةُ وَالْمَحَبَّةُ. يقال: هم على ولاية، أي مجتمعون في النصرة[1].

فالولاية ضدُّ العَداوة، والأصْل في الولاية المحبَّة والقُرْب، والأصل في العداوة البُغض والبُعد.

والولي في اللغة: القرب والدنو[2]. وهو يطلق أيضاً على النصير[3].

وعلى هذا فإن الولاية تدور على أمرين: المحبة، والنصرة، وقد أثبت الله جل وعلا في كتابه ولايته لبعض خلقه، فقال سبحانه وتعالى: ﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ [البقرة:٢٥٧]، فأثبت سبحانه وتعالى ولايته للمؤمنين، كما أن الله سبحانه وتعالى نفى أن يكون له وليٌّ، لكن الولي المنفي غير الولي المثبت، فالولي المنفي مقيد؛ حيث قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ ﴾ [الإسراء:١١١]، أي: لم يكن له وليٌّ يستنصر ويعتز ويتقوى به، فولاية الله عز وجل لمن يتولاهم ليست عن حاجة، ولا عن افتقار، بل هو الغني الحميد جل وعلا، وإنما ولايته سبحانه وتعالى لمن يتولاه هي ولاية رحمة ومِنَّة وفضيلة ومنحة منه جل وعلا، وإكرامٍ لمن يتولاه، نسأل الله أن نكون منهم.

إذاً: الولاية المثبتة لله عز وجل هي غير الولاية المنفية.

كيف نعرف أولياء الله مِن غيرهم؟

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ وَابْنُ عَبَّاسٍ ﷺ وَغَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ السَّلَفِ: "أَوْلِيَاءُ اللَّهِ الَّذِينَ إِذَا رُءُوا ذُكِرَ اللَّهُ"[4].

ومعناه: أن من صفات أولياء الله تعالى أنهم يتميزون عن غيرهم بصفات جليلة؛ كالسمت الحسن، والخشوع الظاهر، وغيرها، وتظهر عليهم علامات العبادة، أي إذا رأى فلان من الناس ولي من أولياء الله؛ يذكره بالله، ولاشك إذا ذكر الله ازداد إيمانه وخشيته لله، وكان ذلك سبباً للاستقامة على شرع الله، لأن أولياء الله قدوة صالحة له.

---

(١) الصحاح (٦/٢٥٣٠)، المغرب في ترتيب المعرب (ص٤٩٦).

(٢) تاج العروس (٤٠/٢٤١).

(٣) المعجم الوسيط (٢/١٠٥٨).

(٤) تفسير ابن كثير (٤/٢٧٨).

قال ابن تيمية رحمه الله: "والولاية: ضد العداوة، وأصل الولاية: المحبة والقرب، وأصل العداوة: البغض والبعد. وقد قيل أن الولي سمي وليا من موالاته للطاعات، أي متابعته لها، والأول أصح. والولي: القريب، يقال: هذا يلي هذا؛ أي يقرب منه"(١).

وقال رحمه الله: "**فَكُلُّ مَنْ كَانَ مُؤْمِنًا تَقِيًّا كَانَ لِلَّهِ وَلِيًّا**"(٢).

وقال ابن حجر رحمه الله: "الْعَالِمُ بِاللَّهِ الْمُوَاظِبُ عَلَى طَاعَتِهِ الْمُخْلِصُ فِي عِبَادَتِهِ"(٣).

وقال الشوكاني رحمه الله: "**وَالْمُرَادُ بِأَوْلِيَاءِ اللَّهِ: خُلَّصُ الْمُؤْمِنِينَ، كَأَنَّهُمْ قَرُبُوا مِنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ بِطَاعَتِهِ وَاجْتِنَابِ مَعْصِيَتِهِ**"(٤).

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ * لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [يونس:٦٢-٦٤].

من هم أولياء الله؟ أولياء الله هم المؤمنون، هم المتقون، فكل من كان مؤمناً لله تقيًّا، كان لله وليًّا، فإن كنتَ كذلك فأنت وليٌّ من أولياء الله.

وليست الولاية ما يتبادر إلى الأذهان معناها؛ أن تجري على يدي الوليّ الخوارق، وتجري على يديه الكرامات، ليس هذا هو المقصود، فقد تجري مثل هذه الأمور الخوارق للعادات على أيدي أناس قد يكونون فسقة، أو فجرة، أو يكونون غير مسلمين، تجري على أيديهم أمور عجيبة، الولاية لله، أن تكون ولياً لله؛ هو بالإيمان وبتقوى الله.

قال ابن باز رحمه الله: "أولياء الله هم أهل التقوى، أهل طاعة الله ورسوله، هؤلاء هم أولياء الله، أما الخرافيون المشعوذون، الذين يأتون بالمعاصي أو يلبسون على الناس بأنهم أولياء، بأشياء مبتدعة أو بدعوة أصحاب القبور، أو بالصلاة عند القبور وما أشبه ذلك، هؤلاء ليسوا من الأولياء، أولياء الله هم أهل الإيمان والتقوى، المطيعون لله ورسوله، هؤلاء هم أولياء الله. أما أهل الخرافات والشرك بالله، وأهل البدع أو المتصوفة الذين يأتون بالبدع المخالفة لشرع الله، هؤلاء ليسوا بأولياء الله؛ إنما أولياء الله الملتزمون بطاعة الله ورسوله، التاركون لما حرم الله ورسوله من البدع والمعاصي"(٥).

---

(١) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان (ص٩).

(٢) مجموع الفتاوى (٢/٢٢٤).

(٣) فتح الباري لابن حجر (١١/٣٤٢).

(٤) فتح القدير (٢/٥١٩).

(٥) فتاوى نور على الدرب (٢/١٩٧).

وقال أيضاً رحمه الله: "القاعدة لا تكون كرامة إلا إذا كان العبد مستقيماً على دين الله، معروفاً بالخير والاستقامة على طاعة الله وطاعة رسوله، ومن أهل التوحيد والإيمان، فهذه كرامة، وإلا فهي من الشعوذة ومن تزيين الشيطان، ومن أعمال الشياطين يغر بها الناس، فإذا كان الرجل غير مستقيم فهذه علامة أن ما جرى على يديه من الشعوذة وليست بكرامة"[١].

هل الولي معصوم؟

قال ابن عثيمين رحمه الله: "وليس من شرط ولي الله أن يكون معصومًا لا يغلط ولا يخطئ، بل يجوز أن يخفى عليه بعض علم الشريعة، ويجوز أن يشتبه عليه بعض أمور الدين، ولهذا لما كان ولي الله يجوز أن يغلط لم يجب على الناس الإيمان بجميع ما يقوله من هو ولي لله؛ لئلا يكون نبيًا، بل يجب أن يعرض ذلك جميعه على ما جاء به مُحَمَّد ﷺ؛ فإن وافقه قبله، وإن خالفه لم يقبله"[٢].

(١) فتاوى نور على الدرب (٢/١٩٧).

(٢) مجموع الفتاوى (٧/١٤٠).

ثانياً: ﴿كيف تنال الولاية من الله عز وجل﴾

تُنال الولاية من الله عز وجل بتحقيق أمرين:

١. **الإيمان بالله تعالى:**

هذه صفةٌ أولى لهؤلاء الأولياء، أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، لا تنكر شيئاً من ذلك، ولا تكذب بشيء من ذلك، تؤمن إيماناً صادقاً، ويقيناً خالصاً؛ بأن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وتشهد أن مُحَمَّداً رسول الله، أرسله الله عز وجل، وأرسل معه كتابه القرآن الكريم، وأوحى إليه ما يوحى من سنته، وأنه خاتم الأنبياء ليس بعده نبي ﷺ.

وهو أولى الخُطوات الواجب اتّباعها؛ حتى يكون العبد وَليّاً لله سبحانه وتعالى.

٢. **تقوى الله سبحانه وتعالى:**

وهذا أمرٌ جَليٌّ قد ذكره الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز، وذلك عندما قَرَن بين أولياء الله والتقوى في قوله: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [يونس:٦٢-٦٣]، والتقيَّ هو: من راقب الله في حركاته، وسَكناته جميعها، فإن لم يكن يرى ربَّه، فإنَّ ربَّه عزَّ وجلَّ يراه؛ لذلك عليه أن يُحسِن العمل، ويأتي الحلال، وينتهي عن الحرام؛ حتى يبلغ هذه الدرجة الرفيعة بإذن الله.

فالعبد ينال ولاية الله سبحانه تعالى بتحقيق الإيمان والتقوى؛ لأن الله تعالى وصف أولياءه بقوله سبحانه وتعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [يونس:٦٣].

فمن حقق كمال الإيمان، ونمّى إيمانه بالعمل الصالح، واجتنب ما ينقض الإيمان وما ينقصه ويضعفه؛ من الكبائر والموبقات، وسائر المعاصي والمحرمات؛ نال ولاية الله تعالى، فكان الله تعالى وليه، فيتال بذلك درجة الأمن والرفعة والسكينة.

هؤلاء هم أولياء الله، ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي: حققوا الإيمان في قلوبهم بكل ما يجب الإيمان به، ﴿وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ أي: حققوا العمل الصالح بجوارحهم، فاتقوا جميع المحارم من ترك الوجبات، أو فعل المحرمات، فهم جمعوا بين صلاح الباطن بالإيمان، وصلاح الظاهر بالتقوى، هؤلاء هم أولياء الله.

قال ابن باز رحمه الله: "**وأولياء الله: هم أهل الإيمان وأهل التقوى من الرجال والنساء، وهم الذين يؤدون فرائض الله، ويبتعدون عن محارم الله، ويقفون عند حدود الله، هذا هو المؤمن، وهذا**

هو التقي، وهذا هو الولي، ليس الولي صاحب الخرافات من الصوفية وأشباههم من أصحاب البدع، وإنما أولياء الله هم أهل الإيمان، وهم أهل التقوى وإن كانوا زراعيين، وإن كانوا عمالاً، وإن كانوا أطباء، وإن كانوا مهندسين، وإن كانوا فراشين في الدوائر، كلهم أولياء الله إذا كانوا من أهل الإيمان والتقوى"[١].

---

(١) مجموع الفتاوى (١٠/٣٢٧).

ثالثاً: ﴿أقسام ولاية الله﴾

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: والولاية تنقسم إلى:

١ - ولاية من الله للعبد.

٢ - وولاية من العبد لله.

فمِن الأولى قوله تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [البقرة: ٢٥٧]، ومن الثانية قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ [المائدة: ٥٦].

والولاية التي من الله للعبد تنقسم إلى:

- عامة.

- وخاصة.

فالولاية العامة هي: الولاية على العباد بالتدبير والتصريف، وهذه تشمل المؤمن والكافر وجميع الخلق، فالله هو الذي يتولى عباده بالتدبير والتصريف والسلطان وغير ذلك، ومنه قوله تعالى: ﴿ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ﴾ [الأنعام:٦٢].

والولاية الخاصة: أن يتولى الله العبد بعنايته وتوفيقه وهدايته، وهذه خاصة بالمؤمنين، قال سبحانه تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾ [البقرة: ٢٥٧]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [يونس:٦٢، ٦٣][1].

---

(١) مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (١٠/٦٣٩).

رابعاً: ﴿صفات أولياء الله﴾

أولياء الله اتصفوا بصفات نالوا بها الولاية، فمن صفاتهم:

١- الإيمان: قال تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٢-٦٣]، فوصفهم بالإيمان، ويشمل الإيمان بالله، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره.

قال الشيخ السعدي رحمه الله: "يُخبِرُ تعالى عن أوليائه وأحبائه، ويذكر أعمالهم وأوصافهم، وثوابهم فقال: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ فيما يستقبلونه مما أمامهم من المخاوف والأهوال. ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ على ما أسلفوا، لأنهم لم يسلفوا إلا صالح الأعمال، وإذا كانوا لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، ثبت لهم الأمن والسعادة، والخير الكثير الذي لا يعلمه إلا الله تعالى"[(١)].

فالله تعالى أعطاهم الأمان، فهم آمنون من العذاب؛ لأنهم حفظوا الله تعالى في دنياهم، فحفظهم في الدنيا والآخرة.

٢- التقوى: وهي أن يجعل العبد بينه وبين عذاب الله وقاية، بفعل أوامره واجتناب نواهيه، قال تعالى: ﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٣٤].

عَنْ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ جِهَارًا غَيْرَ سِرٍّ، يَقُولُ: «**أَلَا إِنَّ آلَ أَبِي، يَعْنِي فُلَانًا، لَيْسُوا لِي بِأَوْلِيَاءَ، إِنَّمَا وَلِيِّيَ اللهُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ**»[(٢)].

وفي الحديث الآخر الذي رواه أبو داود في سننه من حديث عبدالله بن عمر ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**وَإِنَّمَا أَوْلِيَائِي الْمُتَّقُونَ**»[(٣)].

٣- الحب في الله والبغض في الله: عَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمَّا قَضَى صَلَاتَهُ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ بِوَجْهِهِ، قَالَ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ، اسْمَعُوا، وَاعْقِلُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّ لِلَّهِ عِبَادًا لَيْسُوا**

(١) تفسير السعدي (ص٣٦٨).

(٢) متفق عليه، واللفظ لمسلم.

(٣) رواه أبو داود في سننه برقم (٤٢٤٢)، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٤١٩٤).

بِأَنْبِيَاءَ، وَلَا شُهَدَاءَ، يَغْبِطُهُمُ الْأَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ عَلَى مَجَالِسِهِمْ، وَقُرْبِهِمْ أَوْ قُرْبَتِهِمْ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى عَزَّ وَجَلَّ»، فَجَثَى رَجُلٌ مِنَ الْأَعْرَابِ مِنْ قَاصِيَةِ النَّاسِ، وَأَلْوَى بِيَدِهِ إِلَى نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، نَاسٌ مِنَ النَّاسِ لَيْسُوا بِأَنْبِيَاءَ، وَلَا شُهَدَاءَ، يَغْبِطُهُمُ الْأَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ عَلَى مَجَالِسِهِمْ وَقُرْبِهِمْ مِنَ اللهِ، انْعَتْهُمْ لَنَا حَلِّمْهُمْ لَنَا، يَعْنِي صِفْهُمْ لَنَا، شَكِّلْهُمْ لَنَا، قَالَ: فَسُرَّ وَجْهُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِسُؤَالِ الْأَعْرَابِيِّ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**هُمْ نَاسٌ مِنْ أَفْنَاءِ النَّاسِ وَنَوَازِعِ الْقَبَائِلِ لَمْ تَصِلْ بَيْنَهُمْ أَرْحَامٌ مُتَقَارِبَةٌ تَحَابُّوا فِي اللهِ وَتَصَافَوْا، يَضَعُ اللهُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ فَيُجْلِسُهُمْ عَلَيْهَا فَيَجْعَلُ وُجُوهَهُمْ نُورًا، وَثِيَابَهُمْ نُورًا، يَفْزَعُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يَفْزَعُونَ، وَهُمْ أَوْلِيَاءُ اللهِ الَّذِينَ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ**»(١).

٤- أداء الفرائض على أكمل الوجوه، والتقرب إلى الله بالنوافل:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ، يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ**»(٢).

بالمحافظة على الفريضة، والتزوُّد بالنوافل، من صيامٍ، وقراءةِ قرآنٍ، وقيامِ ليلٍ، وصدقاتٍ، وبرٍّ وأحسان، تتقرّب بها إلى المولى عز وجل، ويقترب هو منك بالحفظ، ويحفظ الله جوارحك، يحفظ نظرك من النظر إلى الحرام، ويحفظ سمعك من الاستماع للحرام، ويحفظ يديك من لمس الحرام، ويحفظ قدميك من المشي إلى الحرام، وهكذا كلما اقتربت أصبحت ولي لله، وتجده يكره أن يُساء إليك، ويُعيذك من كل ما تخافه، فأنت من الآمنين في الحياة الدنيا.

قال ابن باز رحمه الله: "**ويدل الحديث المذكور على أن أحب شيء إلى الله؛ التقرب إليه بالفرائض، من الصلوات، والزكوات، والصيام، والحج، والجهاد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ثم يستحب لك أيها المسلم أن تتقرب إليه بالنوافل؛ كسنة الظهر، وسنة المغرب، وسنة العشاء، وسنة الفجر، وصلاتك قبل العصر، وسنة الضحى، والتهجد في الليل، هذه نوافل يشرع للمؤمن أن يتقرب بها إلى الله، ويستكثر منها، ويحافظ عليها؛ حتى تكون محبة الله له**

(١) رواه أحمد في مسنده (٥٤١/٣٧) برقم (٢٢٩٠٦)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب برقم (٣٠٢٧).

(٢) رواه البخاري في صحيحه برقم (٦٥٠٢).

أكمل، وحتى يوفق في سمعه وبصره ويده ورجله؛ وحتى يوفقه الله فلا يسمع إلا ما أباح الله له، ولا ينظر إلا إلى ما أباح الله له، ولا يمشي إلا إلى ما أباح الله له، ولا يبطش إلا بما أباح الله له"[1].

تنبيه:

قال ابن باز رحمه الله: "**ولهذا قال الله سبحانه في هذا الحديث: «حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها»، والمعنى: أنه يوفق في هذه الأمور، وليس المعنى: أن الله هو سمعه، وأن الله هو بصره، وأن الله هو يده ورجله، فإنه سبحانه فوق العرش، وهو العالي على جميع خلقه، ولكن مراده سبحانه: أنه يوفقه في سمعه، وبصره، ومشيه، وبطشه؛ ولهذا جاء في الرواية الأخرى يقول سبحانه: «فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي» يعني: أن يوفقه في أعماله، وأقواله، وسمعه، وبصره، هذا معناه عند أهل السنة والجماعة"**[2].

وليسأل كل واحد نفسه: هل هو ممن يحافظ على الفرائض، هل هو ممن يتقرَّب إلى الله بالنوافل؟ إن كان كذلك فأبشر من الله بالخير والأمان من لله، إنهم هم الذين إذا رُؤوا ذُكِر الله، قال سبحانه وتعالى: ﴿ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ﴾ [الفتح:٢٩]، يبدو على وجوههم أثر الطاعة، وإن للطاعة نوراً وإشراقاً وحلاوةً ولذةً تبدو على أهل الطاعات.

والطاعة نور في القلب، ونور في الوجه، كما قال ابن عباس ﷺ: "إِنَّ لِلْحَسَنَةِ نُورًا فِي الْقَلْبِ، وَضِيَاءً فِي الْوَجْهِ، وَقُوَّةً فِي الْبَدَنِ، وَزِيَادَةً فِي الرِّزْقِ، وَمَحَبَّةً فِي قُلُوبِ الْخَلْقِ"(٣).

والطاعة نور في القبر، قال ابن عثيمين رحمه الله: "ونوراً أيضاً في القبر، فإن الإنسان إذا كان مؤمناً –جعلنا الله منهم– يفسح له في قبره مد بصره، ويأتيه من روح الجنة ونعيمها".

وكلما عظم نور المؤمن في الدنيا؛ عظم نور إيمانه في الآخرة.

---

(١) مجموع الفتاوى (١٠/٣٢٨).

(٢) مجموع الفتاوى (١٠/٣٢٨).

(٣) مدارج السالكين (١/٤٢٣).

خامساً: ﴿آثار وثمار ولاية الله تعالى للعبد﴾

من أعظم النعم التي ينالها العباد؛ ولاية الله سبحانه وتعالى لهم، وبذلك ينال العبد العديد من الفضائل والثمار في الدنيا والآخرة، إضافةً إلى العديد من الآثار في المال والولد والنفس والأهل، وفيما يأتي بيان البعض منها:

١. الهداية للحق والخروج من ظلمات الكفر والجحود والنفاق إلى نور الإيمان:

قال تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [البقرة:٢٥٧]، فَيَهِبُ سبحانه أولياءَه أسماعاً وأبصاراً وعقولاً تدرك الحق من الباطل، وتميز الهدى من الضلال؛ فتسمع آيات الله تعالى وبراهينه فتتأثر بها، وتنقاد إليها، ولا تتولى سواه، ويرزقها عز وجل توفيقاً يقودها إلى الإيمان والعمل الصالح، ويحفظها من إضلال المضلين، وغوايات الشياطين.

ما أعظمها من ثمرة أن يعيد اللهُ الإنسانَ من مضلات الفتن، ولو لم يحظَ العبدُ إلا بهذه الثمرة من ولاية الله تعالى له؛ لَسَعِدَ بها في الدنيا والآخرة.

٢. اجتماع قلبه على ربٍّ واحد ونبيٍّ واحد ودينٍ واحد:

فيعبد ربَّه ولا يعبد غيره، ويلجأ إليه في الأزمات، داعياً سائلاً، فيجده قريباً مجيباً، ويتبع نبيّه ويدع التخبط في الآراء والأهواء، ويعتقد بأن دين الإسلام هو الدين الحق من عند الله تعالى.

وأما من اتخذ مولاً له غير الله سبحانه وتعالى؛ فيسير وراء الأهواء والشبهات، وينتقل من باطل إلى باطل؛ لعله يجد طمأنينة القلب وراحته ولن يجدها؛ بل سيبقى قلبه حائراً تائهاً في طُرُقِ الباطل الكثيرة، لتعدد سُبُلِ الباطل، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام:١٥٣].

٣. دفاعه عن أوليائه ومحاربة من يعاديهم:

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الحج:٣٨]، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ»**[١].

فالذي يعادي أحداً من أولياء الله؛ فإن الله تعالى يعلن عليه الحرب، ومن عاداه الله تعالى؛ فهو خاسر.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه برقم (٦٥٠٢).

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: "**فالذي يعادي أولياء الله؛ يقول الله عز وجل: «فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ»، يعني أعلنت عليه الحرب، فالذي يعادي أولياء الله محارب لله عز وجل، نسأل الله العافية، ومن حارب الله فهو مهزوم مخذول، لا تقوم له قائمة**"[1].

وقال الشيخ عبدالمحسن العباد البدر حفظه الله: "**وهذا يدل على خطورة معادة أولياء الله عز وجل، وأن أهلها وصفوا بهذا الوصف، وهو أنهم محاربون لله عز وجل، والله تعالى محارب لهم، فأعلمهم بأنه محارب لهم، فهذا يدلنا على قبح معاداة أولياء الله، وأن المطلوب هو موالاتهم ومحبتهم، وذلك في الله ومن أجل الله، والحب في الله والبغض في الله من أوثق عرى الإيمان، وأما معاداة أولياء الله فهي من أقبح الأمور ومن أسوأ الأشياء، وذلك لأن المطلوب في حقهم الولاية، وليس المعاداة. وهو يدل على أن ذلك من الكبائر؛ لأن كونه يوصف بأنه محارب لله عز وجل وأن الله تعالى يحاربه يدل على منتهى قبحه**"[2].

للأسف نعيش في مجتمع يعادي العلماء الربانيين، تأثر بعضهم بدعاة الضلالة، عَنْ ثَوْبَانَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّمَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي الأَئِمَّةَ الْمُضِلِّينَ»[3]، حتى أنهم أخوف عنده على أمته من الدجال، وللأسف هم موجودون الآن في الإعلام، ومفتوحة لهم الشاشات، على أنهم أئمة وعلماء، وهم أهل الفتنة وأهل الضلال، وحرفوا نصوص الدين حسب أهوائهم.

قال ابن عثيمين رحمه الله: "الأئمة المضلين، أئمة الشر، وصدق النبي ﷺ، إن أعظم ما يخاف على الأمة الأئمة المضلون؛ كرؤساء الجهمية والمعتزلة وغيرهم الذين تفرقت الأمة بسببهم. والمراد بقوله: «الأئمة المضلين»: الذين يقودون الناس باسم الشرع، والذين يأخذون الناس بالقهر والسلطان؛ فيشمل الحكام الفاسدين، والعلماء المضلين، الذين يدعون أن ما هم عليه شرع الله، وهم أشد الناس عداوة له"[4].

لهم لسان معسول، يدسون السم في العسل ويسقونه للناس، وبعض الناس يشرب ويتلذذ، نسأل الله السلامة والعافية.

وإذا جاء من ينصحهم، ويبين لهم خطر هؤلاء على الإسلام والمسلمين، قالوا: انتبه لحوم العلماء مسمومة، سبحان الله! يقولون هذا وفي الوقت نفسه يطعنون في لحوم علماء أهل السنة،

---

(١) شرح رياض الصالحين (٢/٦١).

(٢) شرح الأربعين النووية (٣٣/٦).

(٣) رواه الترمذي في جامعه برقم (٢٧٩٤)، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٢٣١٦).

(٤) مجموع الفتاوى (٩/٤٧٧).

يقولون: (علماء حيض، علماء سلطان، جاميين،...)، أين لحوم العلماء مسمومة؟ إنه الهوى والشيطان.

وهذا من معاداة أولياء الله، فالعلماء هم أولياء الله، ومن عاداهم كان حرباً مع الله سبحانه وتعالى.

ومن لا يملك حصانة عقدية تصونه وتحميه؛ فإنه يغرق في وحل هؤلاء المضلين، وينساق وراءهم، ويقع في شباكهم، نسأل الله السلامة والعافية.

٤. توفيقه وتسديده لما ينفعه واستجابة دعائه:

وإعطاؤه سؤله، وإعاذته مما يخافه ويحذره؛ لأنه حبيب الله تعالى، ومن أحبه الله تعالى وفقه وسدده؛ «**فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ**»(١).

قال الشيخ عبدالمحسن العباد البدر حفظه الله: "**إن مع ما سبق يحصل الثواب، وتحصل الإجابة في دعائه إذا سأل الله عز وجل، قال: «وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ» ففي ذلك جمع بين الترغيب والترهيب، وبين تحصيل ما هو مطلوب والسلامة مما هو مرهوب، فتحصيل ما هو مطلوب مرغوب هو كونه يعطيه ما يسأل، وكذلك يستعيذ به مما هو مرهوب ومخوف فيعيذه الله عز وجل، ويكون بذلك قد حَصَّل الخير لأنه سأل الله تعالى فأعطاه، وسلم من الشر لأنه استعاذ بالله فأعاذه**"(٢).

٥. رفع الخوف والحزن عنه في الدنيا وفي الآخرة:

ففي الدنيا بتعلق قلبه بالله تعالى، ومن تعلق قلبه بالله تعالى لم يخف شيئاً، ولن يحزن على ما فاته ولا ما أصابه؛ لأنه يحظى بمعية الله تعالى ومحبته وولايته، قال تعالى: ﴿وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾ [التغابن:١١]، مع بشارات متتابعة متوالية في الدنيا وفي القبر وفي الآخرة، فلا تنقطع بشاراتهم أبداً: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ * لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [يونس:٦٢-٦٤].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**إِنَّ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ عِبَادًا لَيْسُوا بِأَنْبِيَاءَ، يَغْبِطُهُمُ الْأَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ**»، قِيلَ: مَنْ هُمْ لَعَلَّنَا نُحِبُّهُمْ؟ قَالَ: «**هُمْ قَوْمٌ تَحَابُّوا بِنُورِ اللَّهِ مِنْ غَيْرِ**

(١) رواه البخاري في صحيحه برقم (٦٥٠٢).

(٢) شرح الأربعين النووية (١١/٣٣).

أَرْحَامٍ وَلَا انْتِسَابٍ، وُجُوهُهُمْ نُورٌ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ، لَا يَخَافُونَ إِذَا خَافَ النَّاسُ، وَلَا يَحْزَنُونَ إِذَا حَزِنَ النَّاسُ»، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.(1)

ومن البشارات في الدنيا: الثناء الحسن، والمودة في قلوب المؤمنين، والرؤيا الصالحة، وما يراه العبد من لطف الله تعالى به وتيسيره لأحسن الأعمال والأخلاق، وصرفه عن مساوئها.

ومنها البشارة عند قبض أرواحهم، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت:31].

ويبشرون في قبورهم برضا الله تعالى عنهم، وبما وعدوا من النعيم المقيم، وقد جاء في خبر المؤمن إذا وسد في قبره قول النبي ﷺ: «**وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ حَسَنُ الْوَجْهِ، حَسَنُ الثِّيَابِ، طَيِّبُ الرِّيحِ، فَيَقُولُ: أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُرُّكَ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ، فَيَقُولُ لَهُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالْخَيْرِ، فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ، فَيَقُولُ: رَبِّ أَقِمِ السَّاعَةَ حَتَّى أَرْجِعَ إِلَى أَهْلِي، وَمَالِي**»(2).

ومنها: البشارة في الآخرة برضا الرحمن ورؤيته، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ لِأَهْلِ الجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ؟ فَيَقُولُونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ، فَيَقُولُ: هَلْ رَضِيتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لاَ نَرْضَى وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، فَيَقُولُ: أَنَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، قَالُوا: يَا رَبِّ، وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُ: أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي، فَلاَ أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا**»(3). وعَنْ صُهَيْبٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، قَالَ: يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ، وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ**»(4).

---

(1) رواه ابن حبان في صحيحه برقم (573)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب برقم (3023).

(2) رواه أحمد في مسنده (30/501) برقم (18534)، وصحح الألباني في صحيح الجامع برقم (1676).

(3) متفق عليه.

(4) رواه مسلم في صحيحه برقم (181).

٦. تفريج الكربات:

والخروج من المضايق والأزمات، والثبات في الفتن والمحن، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا﴾ [الطلاق:٢]، ولا يكون العبد من أولياء الله تعالى إلا إذا كان من المتقين، وتكون ولاية الله تعالى له بحسب ما فيه من التقوى.

ومن الصور الجميلة في هذا، ما رواه البخاري في صحيحه من نبأ دَيْن الزبير بن العوام ﷺ الذي خلَّفه بعد وفاته، وعهِد لابنه عبدالله ﷺ وفاءه، وكانت تركَتُه لا تفي بسداد تلك الديون لولا إعانة الله وبركته؛ فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ، قَالَ: لَمَّا وَقَفَ الزُّبَيْرُ يَوْمَ الجَمَلِ دَعَانِي، فَقُمْتُ إِلَى جَنْبِهِ فَقَالَ: "**يَا بُنَيِّ، إِنَّهُ لاَ يُقْتَلُ اليَوْمَ إِلَّا ظَالِمٌ أَوْ مَظْلُومٌ، وَإِنِّي لاَ أُرَانِي إِلَّا سَأُقْتَلُ اليَوْمَ مَظْلُومًا، وَإِنَّ مِنْ أَكْبَرِ هَمِّي لَدَيْنِي، أَفَتُرَى يُبْقِي دَيْنُنَا مِنْ مَالِنَا شَيْئًا؟**" فَقَالَ: "**يَا بُنَيِّ بِعْ مَالَنَا، فَاقْضِ دَيْنِي**"...قَالَ عَبْدُاللَّهِ: فَجَعَلَ يُوصِينِي بِدَيْنِهِ، وَيَقُولُ: "يَا بُنَيِّ إِنْ عَجَزْتَ عَنْهُ فِي شَيْءٍ، فَاسْتَعِنْ عَلَيْهِ مَوْلاَيَ"، قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا دَرَيْتُ مَا أَرَادَ حَتَّى قُلْتُ: يَا أَبَةِ مَنْ مَوْلاَكَ؟ قَالَ: "اللَّهُ"، قَالَ: "**فَوَاللَّهِ مَا وَقَعْتُ فِي كُرْبَةٍ مِنْ دَيْنِهِ، إِلَّا قُلْتُ: يَا مَوْلَى الزُّبَيْرِ اقْضِ عَنْهُ دَيْنَهُ، فَيَقْضِيهِ**"[(١)].

أرأيتم صدق الزبير ﷺ في توكله على ربه؟ وصدق تعلقه بمولاه؟

لم يقل لابنه: اذهب إلى فلان أو فلان، بل وجهه وأرشده إلى من يلجأ إليه إن اعتراه كربٌ في قضاء الدين، وذاك الملجأ هو المولى سبحانه وتعالى.

والسؤال: ماذا كانت نتيجة هذا التعلق بالمولى سبحانه وتعالى؟

الجواب: في بقية القصة التي رواها البخاري، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ: فَحَسَبْتُ مَا عَلَيْهِ مِنَ الدَّيْنِ، فَوَجَدْتُهُ أَلْفَيْ أَلْفٍ وَمِائَتَيْ أَلْفٍ، قَالَ: فَلَقِيَ حَكِيمُ بْنُ حِزَامٍ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ، فَقَالَ: يَا ابْنَ أَخِي، كَمْ عَلَى أَخِي مِنَ الدَّيْنِ فَكَتَمَهُ؟ فَقَالَ: مِائَةُ أَلْفٍ، فَقَالَ حَكِيمٌ: وَاللَّهِ مَا أُرَى أَمْوَالَكُمْ تَسَعُ لِهَذِهِ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ: أَفَرَأَيْتَكَ إِنْ كَانَتْ أَلْفَيْ أَلْفٍ وَمِائَتَيْ أَلْفٍ؟ قَالَ: مَا أُرَاكُمْ تُطِيقُونَ هَذَا، فَإِنْ عَجَزْتُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ فَاسْتَعِينُوا بِي، قَالَ: وَكَانَ الزُّبَيْرُ اشْتَرَى الغَابَةَ بِسَبْعِينَ وَمِائَةِ أَلْفٍ، فَبَاعَهَا عَبْدُ اللَّهِ بِأَلْفِ أَلْفٍ وَسِتِّ مِائَةِ أَلْفٍ، ثُمَّ قَامَ: فَقَالَ مَنْ كَانَ لَهُ عَلَى الزُّبَيْرِ حَقٌّ، فَلْيُوَافِنَا بِالْغَابَةِ، فَأَتَاهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ، وَكَانَ لَهُ عَلَى الزُّبَيْرِ أَرْبَعُ مِائَةِ أَلْفٍ، فَقَالَ لِعَبْدِ اللَّهِ: إِنْ شِئْتُمْ تَرَكْتُهَا لَكُمْ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: لاَ، قَالَ: فَإِنْ شِئْتُمْ جَعَلْتُمُوهَا فِيمَا تُؤَخِّرُونَ إِنْ أَخَّرْتُمْ؟ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: لاَ، قَالَ: قَالَ: فَاقْطَعُوا لِي قِطْعَةً، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: لَكَ مِنْ هَاهُنَا إِلَى هَاهُنَا، قَالَ: فَبَاعَ مِنْهَا فَقَضَى دَيْنَهُ فَأَوْفَاهُ، وَبَقِيَ مِنْهَا أَرْبَعَةُ

---

(١) رواه البخاري في صحيحه برقم (٣١٢٩).

أَسْهُمٍ وَنِصْفٌ، فَقَدِمَ عَلَى مُعَاوِيَةَ، وَعِنْدَهُ عَمْرُو بْنُ عُثْمَانَ، وَالمُنْذِرُ بْنُ الزُّبَيْرِ، وَابْنُ زَمْعَةَ، فَقَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ: كَمْ قُوِّمَتِ الغَابَةُ؟ قَالَ: كُلُّ سَهْمٍ مِائَةَ أَلْفٍ، قَالَ: كَمْ بَقِيَ؟ قَالَ: أَرْبَعَةُ أَسْهُمٍ وَنِصْفٌ، قَالَ المُنْذِرُ بْنُ الزُّبَيْرِ: قَدْ أَخَذْتُ سَهْمًا بِمِائَةِ أَلْفٍ، قَالَ عَمْرُو بْنُ عُثْمَانَ: قَدْ أَخَذْتُ سَهْمًا بِمِائَةِ أَلْفٍ، وَقَالَ ابْنُ زَمْعَةَ: قَدْ أَخَذْتُ سَهْمًا بِمِائَةِ أَلْفٍ، فَقَالَ مُعَاوِيَةُ: كَمْ بَقِيَ؟ فَقَالَ: سَهْمٌ وَنِصْفٌ، قَالَ: قَدْ أَخَذْتُهُ بِخَمْسِينَ وَمِائَةِ أَلْفٍ، قَالَ: وَبَاعَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ نَصِيبَهُ مِنْ مُعَاوِيَةَ بِستِّ مِائَةِ أَلْفٍ، فَلَمَّا فَرَغَ ابْنُ الزُّبَيْرِ مِنْ قَضَاءِ دَيْنِهِ، قَالَ بَنُو الزُّبَيْرِ: اقْسِمْ بَيْنَنَا مِيرَاثَنَا، قَالَ: لاَ، وَاللَّهِ لاَ أَقْسِمُ بَيْنَكُمْ حَتَّى أُنَادِيَ بِالْمَوْسِمِ أَرْبَعَ سِنِينَ: أَلاَ مَنْ كَانَ لَهُ عَلَى الزُّبَيْرِ دَيْنٌ فَلْيَأْتِنَا فَلْنَقْضِهِ، قَالَ: فَجَعَلَ كُلَّ سَنَةٍ يُنَادِي بِالْمَوْسِمِ، فَلَمَّا مَضَى أَرْبَعُ سِنِينَ قَسَمَ بَيْنَهُمْ، قَالَ: فَكَانَ لِلزُّبَيْرِ أَرْبَعُ نِسْوَةٍ، وَرَفَعَ الثُّلُثَ، فَأَصَابَ كُلَّ امْرَأَةٍ أَلْفُ أَلْفٍ وَمِائَتَا أَلْفٍ، فَجَمِيعُ مَالِهِ خَمْسُونَ أَلْفَ أَلْفٍ، وَمِائَتَا أَلْفٍ[(١)].

أرأيتم كيف يعامل اللهُ عبادَه الصادقين حين يُنزِلون حوائجهم عنده، ويتوكلون عليه، ويحسنون ظنهم فيه، ويبذلون وسعهم في بذل أسباب قضاء الحوائج؟

قد وعى الابن تلك الولاية الربانية، والقدرةَ التي لا يعجزها شيء، والقرب الإلهي لمن اتخذه وكيلًا؛ حيث توجه إلى ربه في قضاء دين أبيه بقول: "يا مولى الزبير، اقضِ دينه"، وسريعًا ما لبَّى المولى نداءه، وبارك الله له في ماله؛ وإذ بأثمانها تتضاعف العشرات في وقت وجيز، ويقيّض لبيعها البائعَ الأمين والمشتريَ الوفيَّ السَّمْح؛ فبلغت الأثمان خمسين مليونًا ومائتي ألف بإذن مولى الزبير؛ فقُضيت تلك الديون التي طالما أرَّقت همَّ الزبير، ولا عجب في ذلك، فهكذا كان ظن الزبير في ربه، وهكذا كان صدقه معه ومع خلقه.

٧. رحمة الله تعالى يوم القيامة:

فإن لأولياء الله تعالى رحمات في الدار الآخرة يختصون بها، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قال: «**لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِائَةُ رَحْمَةٍ، وَإِنَّهُ قَسَمَ رَحْمَةً وَاحِدَةً بَيْنَ أَهْلِ الْأَرْضِ، فَوَسِعَتْهُمْ إِلَى آجَالِهِمْ، وَذَخَرَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ رَحْمَةً لِأَوْلِيَائِهِ، وَاللهُ عَزَّ وَجَلَّ قَابِضٌ تِلْكَ الرَّحْمَةَ الَّتِي قَسَمَهَا بَيْنَ أَهْلِ الْأَرْضِ إِلَى التِّسْعِ وَالتِّسْعِينَ فَيُكَمِّلُهَا مِائَةَ رَحْمَةٍ لِأَوْلِيَائِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»[(٢)].

(١) رواه البخاري في صحيحه برقم (٣١٢٩).

(٢) رواه أحمد في المسند (٣٩٢/١٦) برقم (١٠٦٧١).

الخاتمة

ما أحوج الإنسان إلى ولاية الله وعونه ومدده وحفظه، خاصة في هذا الزمان الذي كثرت فيه الأهواء، وكثرت فيه الشبهات، وتكالبت فيه الأمم على دين الله سبحانه وتعالى.

ولا شك أن ولاية الله سبحانه وتعالى مبذولة لكل من سعى إليها، وسار في طريقها، ووفقه الله سبحانه وتعالى إلى بلوغها، كما قال جل وعلا: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾ [الليل:٥-١٠]، وقال أيضاً جل وعلا: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت:٦٩].

وعلى الرغم من أن كل مؤمن هو ولي الله جل وعلا؛ فإن ولاية الله للعبد ومحبته له تتفاوت بحسب الإيمان والتقوى والعمل الصالح، فكل ما ازداد إيمان العبد وترقى في درجات الكمال والصلاح وتحلى بالتقوى؛ كان أعظم ولاية، وأقرب من ربه سبحانه وتعالى.

فما أحوج الناس إلى ولايته سبحانه وتعالى؛ حتى يسعدوا في دنياهم، ويسلم لهم دينهم، ويفوزوا في آخرتهم: ﴿أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ * لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ لا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [يونس:٦٢-٦٤].

والأمن لا يحصل عليه المرء بمال الدنيا كله، وإنما يحصل عليه بالإيمان والتقوى.

وأولياء الله هم صفوة خلقه، وخيرته من عباده.

اللهم اجعلنا من أوليائك المتقين، الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، واجعلنا من عبادك الصالحين، ومن السابقين المقربين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه أجمعين.